

وهنا، من الضروري أن نستوعب مسألة مهمة جدًّا، وهي أن يتحرَّك القرآن في كُلِّ مفردات حياتنا، فنفتح قلوبنا له قبل أن نفتح أسماعنا، لأنَّ قيمة الأذن أن تكون واعية، ولن تعي الأذن ما تسمع إلَّا إذا كان من سمعته أخذ طريقه إلى القلب (وَتَعْبِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) (الحاقة / 12)، والوعي ليس من حالات الأذن، بل هو من حالات العقل الذي يُعْبِدُّ عنه بالقلب، باعتبار أن هذه الأذن تمثِّل طريقاً إلى العقل، فالإنسان عندما يسمع، ينبغي أن يسمع بطريقة واعية، لا أن يسمع كما هو حال الكثيرين يسمعون ولا يسمعون (وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهِ) (الأعراف / 179).

جزاء التقوى:

إذاً، (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّ كُمْ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) فجزاء التقوى (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُم مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى) (آل عمران / 195)، سنالون الجزاء الأوفى من □ إذا سرتُم في خطِّ التقوى التي تفرض عليكم أن تقفوا موقفاً أو تعملوا عملاً فيه رضً □، أو تبنوا علاقة يحبُّها □، أو رفضتم حالة أو علاقة يريدكم □ أن ترفضوها وتبتعدوا عنها، أو عملاً تتركونه، لأن □ يأمركم بتركه، وسيعطيكم □ حسنةً على ذلك. (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) (الزُّمِر / 10)، فإذا فعلتم ما يريده □ تعالى، فإنَّ ذلك يشكِّل الإحسان لأنفسكم وللحياة من حولكم، لأنَّكم إذا عثمت الضوابط الشرعية التي نظِّم □ الحياة على أساسها، فإنَّ هذه الحياة تعيش في توازن وخير وبركة. وهذه الفقرة من الآية (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) تلتقي بالآية الكريمة (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) (الزلزلة / 7)، وتلتقي كذلك مع الآية المباركة (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَن سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى) (النجم / 39-41)، مفهوم قرآنيٍّ واحدٌ بعباراتٍ متعددة.

وهذه التقوى تفرض على الإنسان إذا ما صدَّه الناس عن طاعة □، أن يبتعد إلى مكانٍ آخر ليحفظ دينه (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) (الزُّمِر / 10)، إذا لم تستطع أن تعبد □ في مكانٍ فانتقل إلى مكانٍ تستطيع أن تعبد □ فيه، وإذا حاصرك الناس في موقع، فهناك ألف موقع تستطيع أن تطيع □ فيه، لذلك، لست معذوراً أن تبقى في مكان تُضطر فيه أن تعصي □ وتترك طاعته سبحانه، وإلَّا كنت مثلاً أولئك (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِي أَنفُسِهِمْ) (النساء / 97)، ظلموا أنفسهم بالكفر الذي فرضه عليهم الأقوياء (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) (النساء / 97-99).

ومن الذين رفضوا الرضوخ للأقوياء الذين عملوا على تطويقهم ومحاصرتهم وإجبارهم على المعصية والكفر، أولئك الذين فروا بدينهم (وَمَنْ يُّهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (النساء / 100).

إنَّ □ لم يضيِّق عليك كلَّ الساحات، فإذا استطعت أن تتحرَّر من الضغط الذي يَفْرُضُ عليك معصية □ ويمنعك من طاعة □، وتقدر على أن تنتقل من أرض، إلى أرض، فلا يجوز لك أن تقيم في مكان تُفَرِّصُ عليك فيه المعصية، أو تهاجر إلى أرض يَضْعُفُ فيها دينك (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ).

ضريبة التقوى:

من هنا، علينا أن نعرف أنَّ التقوى تكلِّفنا شيئاً من مزاجنا ومآلينا وجهدنا ومآلحنا، قد تُضطرُّنا التقوى أن نترك المال الحرام ونحن أحوج الناس إليه، وقد تفرض علينا التقوى أن نرفض الجاه الحرام وهو بين أيدينا، والشهوة الحرام وأنفسنا تهوى إليها، أو نترك أرضاً ونحن بحاجة

للعيش فيها.. هناك آلامٌ في هذا الطريق يجب أن نتحملها، لأنَّ الإصرار على حقِّ الإيمان يلزمنا بذلك.

وهذا ما توضحه بعض الآيات المباركة: (لَتَذُبِلَّوْنَ فِي أَمْمٍ وَالْكِتَابِ فِي أَشْرِكُوا أَدَّى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (آل عمران/ 186).

ويقول سبحانه: (وَلَتَذُبِلَّوْنَ زَكُومٌ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبِلُوا أَخْبَارَكُمْ) (محمد/ 31)، وقال تعالى أيضاً: (وَلَتَذُبِلَّوْنَ زَكُومٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (البقرة/ 155) وهنا تشعر - أيُّها الإنسان - أنَّ التقوى تكلف كثيراً، لأنَّك تتحرَّك بها ضدَّ تيار المجتمع الذي تعيش فيه، وضدَّ الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي تواجهه، ولذلك فإنَّ موقف التقوى يحاصرُك بكثيرٍ من الآلام، ويحرِّمُك الكثير من اللذات، ويفوِّت عليك الكثير من الحاجات.. وهنا، ماذا تصنع؟ (وَصَبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (لقمان/ 17).

وما جزاءُ الصبر؟ (إِنَّ مِمَّا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) الذي يقرُّ ذلك، هو ربُّك الذي خلقك وأنعم عليك، وورعك في نومك ويقظتك، في طفولتك وشبابك وكهولتك، ربُّك يقول لك، لقد وعدتك بالأجر العظيم، وها أنت تجد ربَّك أصدق من وعد، وأنا أعدُّك إذا صبرت، سأعطيك أجرَك بغير حساب (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) (فصلت/ 31)، تَمَنَّيَ عَلَى كُلِّ مَا تَرِيدُ، اضبط أعصابك، إنَّصر على غرائزك، ثبَّتْ نفسك في حالات الاهتزاز، ولذلك اطلب ما تشاء، لأنَّك صبرت (سَلَامٌ عَلَى الَّذِينَ كُفُّوا أَعْيُنُهُمْ فَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ) (الرعد/ 24).

رسول الله المثل والقوة:

هناك مَنْ عاش التقوى وأحسن وانتقل من أرض إلى أرض، وتألَّسَ أشدَّ الآلام فوجدَ عند الله كُفْلًا خيراً، مَنْ هو؟ هو الذي جاء بالقرآن، محمد بن عبد الله (ص) رسول الله (وَاللَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) (الزمر/ 33)، كيف كان موقفه؟ التيارُ كلُّهُ ضده، أقرب الناس إليه يعاديه، كلُّ المجتمع بفقرائه وأغنيائه ووجهائه، مجتمع مكة والجزيرة لا يرى رأيه، تماماً كما يأتي الداعية الرسالي إلى واقع الناس ليجد أنَّ أغلب المجتمع ضدَّ خطِّ الإيمان بالله والالتزام بالإسلام، وإذا لم يكن ضده بالأخلاق فهو ضده بالاقتصاد والسياسة.. كلُّ مؤمن يتحرَّك في أيِّ موقع، هناك حاجرٌ ينتصب أمامه، حاجرٌ يقول له، لماذا تتحرَّك بأخلاقك بهذه الطريقة، وأخلاق الناس شكلٌ آخر؟ لماذا تمتنع عن هذه المعاملة المحرَّمة وتلك؟ الاقتصاد له نهجٌ آخر، لماذا تؤيِّد هذا الفريق وترفض ذاك؟ السياسة لها اتجاهٌ آخر، لماذا تقيم علاقة مع هذا الجانب ولا تقيمها مع ذلك الجانب؟ المجتمع له رأي آخر.. وكم من حاجرٍ تلتقي به في حياتك حتى من أقرب الناس إليك؟ هكذا، انطلق رسول الله (ص) والمسألة التي واجهته لم تكن مسألة حواجز، كان هناك جدرانٌ منصوبة في كُلِّ موقعٍ يتحرَّك فيه، ولكنه وقف أمامهم وتحدَّاهم (قُلْ إِنَّ نَبِيَّ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) (الزمر/ 11)، لا يمكن أن أعبد الأصنام والأوثان، هكذا أمرني الله الذي آمنت به عن وعي ومعرفة وعقل، أمرني أن أعبد وأخلص له في عبادتي، وعلامة الإخلاص أن أطرِد من نفسي كلَّ خضوعٍ لغير الله، وكلَّ التزام بكلام لا يرضاه، أو التزام بشخص من دون الله (قُلْ إِنَّ نَبِيَّ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) (الزمر/ 12)، لقد هذا أمرٌ أساس، والأمر الآخر (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) (الحجر/ 46)، متى فتحت للناس بابَ الإسلام على مصراعيه ليسجلوا أسماءهم فيه وليدخلوا إليه، لأنَّ دخول الجنة مرتبطٌ بدخول الإسلام (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران/ 85)، لذلك (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ) (الحجر/ 46)، متى تدخل؟ تدخل إذا كنت تعي السلام مع الله، أما إذا كنت تعيش الحرب معه سبحانه، فهل يمكن أن تدخل الجنة؟ عند وقوفك على باب الجنة، تُطلب منك بطاقتك، مَنْ أنت؟ هل كنت ممن يعيش السلام مع الله والناس؟ والسلام أن تعيش في الحياة، مطيعاً مسلماً، وهذا ما يجعل بينك وبين الله علاقة سلام.. فالنبي (ص) سجَّل اسمه قبل أن يدعو الناس إلى الإسلام، طيَّب قلبه على نفسه، قبل أن يطلب من الناس أن يطبِّقوه على أنفسهم، صدَّق بالعقيدة، قبل أن يطلب من الناس أن يصدِّقوا بها (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) عندما دعوت الناس للتقوى، فقد دعوت نفسي للتقوى قبلكم (قُلْ إِنَّ نَبِيَّ أَخَافُ إِنَّ عَمَلِيَّتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ) (الزمر/ 13)، إنَّكم تدعونني إلى المعصية، وأنا أخاف من عذاب يومٍ عظيم إذا عصيت (فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ

عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُ وَنَذِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (هود/ 63)، مَنْ يُؤْمِنِي مِنْ عَذَابٍ أَلِيٍّ؟ هَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَخَاطِبُ قَوْمَهُ، لِنَتَعَلَّمَ مِنْهُ أَنْ نَخَاطِبَ بِذَلِكَ مَنْ يَدْعُونَنَا إِلَى الانْحِرَافِ عَنْ خُطِّهِ، وَمَنْ أَقْوَامُنَا وَأَبَائُنَا وَأُمَّهَاتُنَا وَأَزْوَاجُنَا وَزَوْجَاتُنَا وَإِخْوَانُنَا وَأَصْدِقَانَا وَزَعْمَانَا وَأَحْزَابُنَا. وَنَقُولُ لَهُمْ جَمِيعًا: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ. اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام/ 15).

وَأَمَامَ كُلِّ هَذَا الْحَشْدِ مِنَ الشَّرِكِ وَالضَّلَالِ وَالانْحِرَافِ، وَرَسُولُ اللَّهِ (ص) وَاقِفٌ وَحْدَهُ مَعَ جَمَاعَةٍ صَغِيرَةٍ مُسْتَضْعَفَةٍ، يُوجِي لِنَفْسِهِ بِالْقُوَّةِ الْمُسْتَمْدَّةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَرْفُضُ كُلَّ أَوْامِرِ الْكُفْرِ مَجْسُودًا مَوْقِفَهُ بِالطَّاعَةِ لِلْخَالِقِ (قُلْ لِلَّهِ الْعِزَّةُ أَكْبَرُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي) (الزمر/ 14)، وَالْفَرْقُ بَيْنَ التَّعْبِيرِ فِي هَذِهِ آيَةٍ، وَالآيَةِ السَّابِقَةِ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ. اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الزمر/ 14)، وَالْفَرْقُ بَيْنَ التَّعْبِيرِ الدِّينِيِّ أَنْ التَّعْبِيرَ فِي آيَةِ الْأَوَّلَى قَدْ مَّ الْمَفْعُولُ عَلَى الْفِعْلِ، وَهَذَا يَفِيدُ الْحَصْرَ، يَعْنِي أَنَّ أَعْبَدَ وَلَا أَعْبَدُ غَيْرَهُ (مُخْلِصًا لَهُ دِينِي) هَذَا هُوَ مَوْقِفِي، إِنِّي أُخْلِصُ وَلَا أُخْلِصُ لغيره، أَمَا أَنْتُمْ فَقَدْ بَلَّغْتُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَهَذِهِ مَسْئُولِيَّتِي، وَلَكُمْ مَسْئُولِيَّتُكُمْ وَحُرِيَّتُكُمْ فِي أَنْ تَخْتَارُوا مَصِيرَكُمْ (فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) (الزمر/ 15)، أَعْبُدُوا أَصْنَامًا مِنْ جَبَرٍ أَوْ خَشَبٍ أَوْ ذَهَبٍ، أَوْ أَصْنَامًا مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ، هَذَا لَيْسَ شَأْنِي، لَأَنْ مَصِيرِي لَا يَرْتَبِطُ بِمَصِيرِكُمْ، دَوْرِي أَنْ أَبْلَّغَكُمْ وَقَدْ بَلَّغْتُمْ، وَلَكِنِّي أَحْذَرُكُمْ، مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ يَرْبِحْ نَفْسَهُ، وَمَنْ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ يَرْبِحْ أَهْلَهُ، وَمَنْ يَعْْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ وَيَرْبِي أَهْلَهُ عَلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، يَخْسِرْ نَفْسَهُ وَيَخْسِرْ أَهْلَهُ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ. اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الزمر/ 15)، وَقَدْ نَبَّهْنَا أَنَّ تَعَالَى إِلَى نَتَائِجِ الْخَسَارَةِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّفْسُ وَالْحَجَارَةُ) (التحریم/ 6)، نَحْنُ نَهْتُمُ بِمُسْتَقْبَلِ الْوَلَدِ وَبَوَاطِفَتِهِ وَبَوَاضِعِهِ الْمَالِي، وَلَكِنْ إِلَى أَيِّ مَدَى نَفَكْرُ وَنَهْتُمُ بِدِينِ الْوَلَدِ، فَإِذَا تَعَارَضَ الْمَالُ مَعَ الدِّينِ، كَمْ نَغْلِبُ الدِّينَ عَلَى الْمَالِ؟ صَحِيحٌ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ مِنْ مَسْئُولِيَّاتِنَا الْإِهْتِمَامَ بِشُؤْنِ مَعِيشَةِ أَوْلَادِنَا، وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ أَيْضًا أَنَّ سُبْحَانَهُ جَعَلَ مِنْ مَسْئُولِيَّاتِنَا أَنْ نَرْبِيَهُمْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ.

مظاهر الخسارة والربح في الآخرة:

وهكذا، فالإنسان مسؤولٌ أَنْ يَتَّقِيَ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَيَرْبِحْ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. وَأَمَّا مَظَاهِرُ الْخَسَارَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ) (الزمر/ 16)، فَإِذَا كَفَرْتَ وَتَمَرَّدْتَ، وَكَفَرْتَ زَوْجَتُكَ وَأَوْلَادُكَ وَتَمَرَّدُوا عَلَى اللَّهِ، فَهَذِهِ النَّارُ مِنْ فَوْقِهِمْ تَحَاصَرُهُمْ بِلَهَبِهَا وَتَشَكَّلَ ظِلَالًا لِتَسِيطَرَ عَلَى كُلِّ الْجَوِّ (وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ) (الزمر/ 16)، لِيَخَافُوا عَذَابَ جَهَنَّمَ وَلِيَتَّقَوْهُ.. وَرَغْمَ ذَلِكَ يَخَاطِبُهُمْ، لِمَاذَا تَدْمُرُونَ وَتَخْسِرُونَ وَتَحْرِقُونَ أَنْفُسَكُمْ، فَاتَّعَبُوا قَلِيلًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ، إِمْتَنِعُوا عَنْ شَهْوَةِ مَحْرَمَةٍ وَلَكُمْ النِّعَمُ الْخَالِدُ، وَلِمَاذَا تَخْسِرُونَ كُلَّ ذَلِكَ بِلَذَّةٍ عَابِرَةٍ لَا تَدُومُ. وَهَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ (ع) يَقُولُ: "مَا لِيَعْلَيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى" وَنَدَاءُ رَبِّي أَنِّي حَنُونٌ (يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ) (الزمر/ 16)، أَطِيعُونِي وَاتَّزِمُوا أَوْامِرِي وَنَوَاهِيَّ، وَلَا تَتَّبِعُوا آبَاءَكُمْ وَعَشَائِرَكُمْ، لِأَنَّكُمْ لَا يَنْفَعُونَكُمْ شَيْئًا.

وَيَبْقَى الْخُطَابُ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ ابْتَعَدُوا عَنِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَأَصْرُوا عَلَى التَّمَرُّدِ وَالْمَعْصِيَةِ، فَأَنْتُمْ الَّذِينَ تَكْفُرُونَ وَتَضَلُّونَ وَتَنْحَرِفُونَ، أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ الطَّاغُوتَ، سِوَاءَ كَانَ مُلْكًا أَوْ رِئَاسَةً أَوْ دَوْلَةً أَوْ خَطًّا، أَوْ شَهْوَةً، وَعِبَادَتُكُمْ لِلطَّاغُوتِ تَضُرُّكُمْ وَلَا تَنْفَعُكُمْ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ الدِّينِ) (البقرة/ 257)، كُلُّ مَنْ عَدَا اللَّهَ فَهُوَ طَّاغُوتٌ، وَكُلُّ شَرِيعَةٍ غَيْرِ شَرِيعَةِ اللَّهِ، أَوْ دَوْلَةٍ غَيْرِ دَوْلَةِ اللَّهِ، أَوْ قَائِدٍ لَا يَتَحَرَّكُ فِي خُطِّ اللَّهِ فَهُوَ طَّاغُوتٌ.. وَيَبْشُرُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يُوَاجِهُونَ الطَّاغُوتَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَنْبَغِدُوا لَهُمْ أَتَى اللَّهُ الْيُسْرَى فَيُبَشِّرُهُمْ عِبَادَهُ) (الزمر/ 17)، هَؤُلَاءِ لَهُمْ كُلُّ مَا يَتَمَنُّونَهُ، وَهَذَا يَبْرُزُ مَعْنَى الْوَعْدِ فِي حَيَاتِهِمْ (وَتَعْلِيهِهَا أَذُنٌ وَاعْيَةٍ) (الحاقة/ 12)، مَا يَسْمَعُونَهُ يَدْخُلُ إِلَى عَقُولِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ لِأَنَّهُمْ مِنَ (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ الْأُولَوْنَ) (الزمر/ 18)، هُمْ أَصْحَابُ الْعُقُولِ، وَمَنْ يَمْلِكُ عَقْلَهُ، يَمْلِكُ فِكْرَهُ وَطَرِيقَهُ وَقَرَارَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

أَمَّا الَّذِينَ أَغْلَقُوا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُمْكِنُ الْحَدِيثُ مَعَهُمْ (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) (الزمر/ 19).

وَمَاذَا لِلْمُتَّقِينَ؟ (لَكَ مِنَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَاتِ) (الزمر/ 20).

وهذا خطابُ الله لنا، ماذا تريدون؟ هل طُلِّلَ من النار من فوقكم وتحتكم، أم عُرفُ فوقها عُرفُ مبنيةٌ تجري من تحتها الأنهار؟ حدِّدوا تمنياتكم، لكي تحدِّثوا الطريق الذي يحقق لكم أمانكم في الدنيا والآخرة. ►

المصدر: كتاب من عرفان القرآن